بعد أن رفع العرب شعار « الدولة الديمقراطية العلمانية » والتي يعيش في ظلها اليهود والمسلمون والمسيحيون في وئام وهناء ، وباشارة الكاتبة ايضا الى الامل الى كون اليهود الشرقيين « سيصبحون في المستقبل القريب الاغلبية الساحقة مما سيضعف من نفوذ الغربيين من اليهود المتزمتين والصهيونيين المتعصبين ، مما قد يكون له بحد ذاته اثر في القضاء على الصهيونية وارجاع البلاد الى أصحابها الشرعيين » .

قبل طرح شعار الدولة الديمقراطية العلمانية ، وقبل التهليل لتلك « الاغلبية الساحقة » من اليهود الشرقيين، لا بد من سرد بعض الملاحظات، على حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية ان تأخذها بعين الاعتبار اثناء محاولة فهم المجتمع الاسرائيلي ، خاصة ، ان كل الدلائل تشير على عدم توافر تحليل وفهم متكاملين لتركيبة المجتمع الاسرائيلي لدى أي من حركة التحرر الوطني العربية او الفلسطينية .

ان معظم الناس في اسرائيل ما زالوا يصنفون أنفسهم اجتماعيا من خلال البلدان التي جاءوا منها في الاصل ، وهذا النوع من الوعي الاجتماعي يشكل عائقا كبيرا في طريق الطبقة المضطهدة ويبعدها عن القيام باي دور فعال في المجتمع من حيث تبديله وهدمه .

ـ ان ثورية الطبقة المضطهدة في اسرائيل مرهونة بالدرجة الاولى بعملية انهيار المؤسسة الصهيونية وسقوطها عبر ضربات قوى الثورة والتحرر العربية ضد الدعاية الاساسية للصهيونية والمبرر الرئيسي لوجودها .

ـ لا تقتصر الخصائص التي تميز المجتمع الاسرائيلي على كونه مؤلفا من المهاجرين فحسب ، بل انه مجتمع مستوطنين ايضا . وتكون هذا المجتمع بواسطة عملية استعمارية لم تتوقف على امتداد الثمانين سنة الماضية ، علما بأن الطبقة المضطهدة تدخل في عداد هذا المجتمع .

ـ ان الصراع بين مجتمع المستوطنين والمجتمع الفلسطيني العربي لم يتوقف مما ترك اثاره البالغة في بنيان السياسة الاسرائيلية والاقتصاد الاسرائيلي وعلم الاجتماع الاسرائيلي .

ـ ان الاضطهاد القومي لشعب آخر وتشريده هو الاساس الاولي لقيام المجتمع الاسرائيلي المضطهد (بكسر الهاء) واستمراره بحيث يصبح الاضطهاد جزءا لا يتجزأ من حياته .

ـ هذا يعني بالنسبة للمجتمع الاسرائيلي انه طالما بقيت الصهيونية سائدة سياسيا وايديولوجيا باعتبارها الاطار السياسي المقبول لا يمكن ان تصبح الطبقة المضطهدة (بفتح الهاء) الاسرائيلية طبقة ثورية باعتبارها مشاركة في الاضطهاد المذكور ومستفيدة منه .

ـ لا يمكن اعتبار الاسرائيليين جماعة تعتنق دينا معينا وحسب ، وبالتالي توقع موافقتهم السريعة للانضمام الى المسلمين والمسيحيين لتقاسم الحقوق في ظل دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية ، لانه لا يمكن حذف حقيقة تاريخية هامة وهي ان هذه المجموعة اصبحت الى حد كبير تشكل كيانا قوميا له لغته الخاصة وحياته الاقتصادية والثقافية المميزة .

ـ اذن ، قيام الدولة الديمقراطية الشعبية مرهون بانهيار المؤسسة الصهيونية قبل اي شيء اخر ، وهذه مهمة حركة التحرر الوطني الرئيسية في المنطقة وذلك عبر ضربات متتالية توجه الى المؤسسات والاجهزة التي توفر الدعاية الاساسية للصهيونية ومبرر وجودها .

لا يمنع ذلك من القول ، ان هذا شعبان صايغ تضع بين أيدي العرب ـ على اختلاف اهتماماتهم واتجاهاتهم السياسية ـ وثيقة على جانب كبير من الاهمية ، يتحتم على جميع المهتمين بقضية العرب المركزية قراءتها والرجوع اليها في تحليل مجمل الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لمجتمع المهاجرين . ان عرض الصور الواقعية والامينة عن ماضي المجتمع الاسرائيلي وحاضره يساعد كثيرا في تكوين فهم متكامل لطبقة المجتمع الاسرائيلي الخاصة ، وخصائصه شبه الفريدة .

مصطفى كركوتي